

# الشعر الولائي الحلي الغدير أنموذجاً

الدكتور سعد الحداد

الحلة بلد التشيع:

كانت الحلة موضع تقدير واهتمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام)، فهو معلن بشارة ظهورها. فقد روي عن "علي بن إبراهيم عن أبيه عن ابن أبي عمير عن أبي حمزة الثمالي عن الأصبغ بن نباته قال: صحبتُ مولاي أمير المؤمنين عند وروده إلى صفين وقد وقف على تل عرير، ثم أوماً إلى أجمة ما بين بابل والتل وقال: مدينة وأي مدينة، فقلت: يا مولاي أراك تذكر مدينة، أكان هاهنا مدينة ثم انمحت آثارها، فقال: لا، ولكن ستكون مدينة يقال لها: الحلة السيفية يمدنها رجل من بني أسد يظهر بها قوم أخيار، لو أقسم أحدهم على الله لأبّر قسمه"<sup>(١)</sup>.

فكانت الجامعين<sup>(٢)</sup>، التي ظهر فيها علماء أعلام، ثم تحققت النبوة العلوية، فأُسست الحلة أو مُصّرت على أكثر الآراء سنة ٤٩٥هـ / ١١٠١م، على يد سيف الدولة صدقة بن منصور بن دبّيس المزيدي<sup>(٣)</sup>، وعرفت بالحلة المزيديّة نسبة إلى بني مزيد الذين كان محل سكناهم في نيل الفرات على بعد فراسخ منها، وعرفت ثانية بالحلة السيفية نسبة إلى سيف الدولة نفسه. "وكان سيف الدولة وقبيلته من الشيعة"<sup>(٤)</sup>. وأكد الرحالة والمؤرخون ذلك فقال ابن بطوطة يصف أهل الحلة "وأهل هذه المدينة كلها إمامية إثنا عشرية"<sup>(٥)</sup>.

وليس التشيع وحده الذي أعطى لهذه الحاضرة دورها المرموق في نمو فكر أهل البيت (عليهم السلام) إنما اهتمام أمرائها بالعلم والأدب ونشرهما، فضلاً عن تأسيس المكتبات الضخمة<sup>(٦)</sup>، ومهاجرة أهل العلم والأدب

(١) بحار الأنوار: ج ١١٤ ص ١٧٩-١٨٠.

(٢) عن الجامعين يُنظر: معجم البلدان ٢/٢٩٤.

(٣) الكامل في التاريخ: ١٠/٤٤٠.

(٤) دائرة المعارف الشيعية: ٢/١٢٧.

(٥) رحلة ابن بطوطة: ٢٣٩.

(٦) منهم الأمير صدقة الذي أسس خزانة كتب حوت ألوف المجلدات. يُنظر: الكامل في التاريخ، ٨/٢٤٩.

وطلابهما إليها بعد ما توفرت أجواء ملائمة ومناخ طيّب يضاف إلى مناخ الحلة المعتدل، حتى أضحت حاضرة حضارية ومركزاً من مراكز الإشعاع الإسلامي.

واكتسب علماؤها وأدباؤها شهرة عالية، كما أُنسِم شعراؤها بالنضوج والإبداع والريادة ولما كان أمراؤها هم أنفسهم في عداد الشعراء، فقد شدّ الرحال إليها شعراء وعلماء، عدّوا في ألقابهم منها، بل أوصى البعض منهم أن يدفن في ثراها، وكتب الأعلام والتراجم حافلة بأسماء أولئك.

ومن الطبيعي أن ينمو الفكر الشيعي في الحلة، ويتسع بعد نبوغ العلماء والأدباء والفقهاء فيها، فذاك مما زاد في تألقها وانتقال الحوزة العلمية من النجف إليها بعد وفاة الشيخ الطوسي (قدس سرّه) بمدة قصيرة. "وسرعان ما تفجرت بعد سنوات من نمو الدراسة لتجعلها مدرسة من مدارس الفكر الشيعي المتميزة التي تجاوزت شهرتها مركزي حلب وطبرستان، وقد بقيت الزعامتان الدينية والسياسية للعالم الشيعي متصدرة فيها قرابة ثلاثة قرون متوالية"<sup>(١)</sup>.

### الشعر الولائي الحلي عبر القرون:

ولمّا كان الشعر ديوان العرب، فهو أسبق في الزعامة عن باقي الحواضر الإسلامية يومذاك، بل أن الشعر تجلّى فيها بأبهى نشاطه الفكري وانتمائه الولائي الصريح، حتى أن أميرها دبّيس بن صدقة بن منصور (ت ٥٢٩هـ) كان يصرّح بولائه في بيتين، يجعل فيهما حبّ عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) مقياساً لمعرفة الناس.

حبُّ عليّ بن أبي طالبٍ                      للناس مقياسٌ ومعيَارُ  
يخرجُ ما في أصلهم مثلما              تخرج غشّ الذّهبِ النّارُ<sup>(٢)</sup>

أو قول أميرها بدران بن صدقة بن منصور (ت ٥٣٠هـ)، وهو يعلن مبدأه الحقّ في الموالاة، ويصرّح بإعلان البراءة من أعدائهم. فيقول:

إنّي من الشّاكرين لكن                      بغير راءٍ، فكُنْ ذكّيّاً  
وإنّني مـبغضٌ مُعَادٍ                      لكلّ مَنْ لَمْ يُردْ (علّيّاً)  
ظلمتُ لآلِ النبيّ عبداً                      وممن معاديهم بريّاً<sup>(٣)</sup>

ولمّا كانت الحلة بهذه الوقائع (أهلها وأمراؤها)، فحريّ بها أن تحفل بخاصية الولاء فكان ديوان شعرائها على مرّ العصور غنياً بقصائد المدح والرثاء للنبي الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) وذكر معجزاته والتمسك بما جاء به من رسالة عظيمة فضلاً عن وصفه بالفضائل ومكارم الأخلاق والصفات الطيبة التي أتصف بها (صلى الله عليه وآله وسلم) في حياته اليومية وتعامله مقرونة بالصفات التي خصها الله بها في كتابه المجيد، وإبراز سيرته الحسنة وشجاعته ومنهم من نظم في التثوّق إلى زيارة قبره المقدس وغالباً ما كان الشاعر الحلي يرفع شكواه من جور الأيام على الأمة أو عليه شخصياً فيستجير به من مصائب الدهر ومحن الأيام ونراه أيضاً يلجأ إلى الإكثار من طلب الشفاعة والتوسل به لنيلها من الله (جلّ وعلا).

(١) دائرة المعارف الشيعية: ١٧٧/١١.

(٢) خريدة القصر (قسم العراق): ١٧٣/١/٤.

(٣) خريدة القصر (قسم العراق): ١٩٨٢/٢/٤.

وكثر ما يرد في الشعر الحلي حسن التخلص في مدح ورتاء النبي الكريم (ص) بالالتفات إلى حديث الغدير أو ما تعرضت له السيدة الزهراء (عليها السلام) أو ذكر واقعة الطف واستشهاد الإمام الحسين (عليه السلام) وهو الشائع في هذا الباب.

وقد اتسعت دائرة الرثاء الحسيني كغرض شعري، ليأخذ أنماطاً متعددة في المعنى والاسلوب فمن الرثاء الخالص الممزوج بالولاء المطلق والألم الممض والحزن العميق، الى المحاجة وكشف الاوراق الاموية البغيضة والدور الخفي للتسلط الاموي. وهذا ما نلحظه في العصر العباسي من خلال شعر الشريفين الرضي والمرتضى ودعبل الخزاعي، الذي هو امتداد لشعر السيد الحميري والكميت الاسدي في العصر الاموي. بل في كل عصر من العصور اللاحقة استحدث الشعراء ألواناً للرثاء الحسيني فيه خروج عن المألوف، بسبب ظروف وطبيعة كل عصر.

اما الشعر الحلي فقد عبّر تعبيراً ولانياً مطلقاً بانتمائه للحسين (ع) وجسد شعراء الحلة منذ تمصيرها سنة ٤٩٥ هـ / ١١٠١ م، واقعة الطف تجسيداً حافلاً في استعراض بطولة الامام الحسين (ع) وأهله وأصحابه، وتصوير مواقفه الانسانية، وأهداف ثورته في الدعوة الى الاسلام الحق وتطبيق أحكامه بعد الحالة التي آلت اليها في ظل حكم الطاغية يزيد بن معاوية.

لقد شكل الشعر الحسيني الحلي، منجزاً ضخماً يتفاوت في الاسلوب والابداع والجودة وفقاً لطبيعة العصر والحكم السياسي وثقافة الشاعر. غير أن هذا لم يمنع من قيام مدرسة شعرية حلية إنمازت عن المدارس الشعرية في الحواضر الاخرى، وذلك بخصوصيتها الحسينية. أعني أنّ المدرسة الحلية، إتسمت بسمات امتلاكها لآليات خاصة في خلق حركة مستمرة من الحوار عبر العصور، وتواصل بين الاجيال، عكست الأطر العقيدية لمدرسة آل البيت (عليهم السلام).

ولشدة التصاق هذه المدرسة بالواقعة (زماناً ومكاناً)، أثر كبير في نضوج الرؤى ووضوحها، في الأدب المناطقي المحاذي للحلة (كربلاء - النجف - بغداد...) مما كوّن منها وحدة مستقلة، لها سمات إبداعية مشتركة، ناتجة عن مخاضات كبيرة لدى شعرائها، حتى عرفت المدينة بـ (حاضرة الرثاء الحسيني).

ولما كانت الحلة عاصمة الشيعة وحوزتهم العلمية فإنّ توجّه الشعراء والعلماء والادباء إليها أمر مفروغ منه، فالنهضة العلمية الفقهية ساعدت في تنامي واتساع النهضة الادبية، حتى غدت حوزة الحلة حاضرة للعلم والأدب معاً. مما هيأ لها أن تكون بؤرة اشعاع في إرسال ابداعها نحو الحواضر الاخرى.

"وكانت المدرسة الحلية تتخذ من واقعة الطف غرضاً أدبياً مستقلاً، وقضية تُبرر استمرارية الاعلان عن مظلومية آل البيت (عليهم السلام) وأتباعهم وكانت تبث قضيتها هذه الى أنحاء الحاضرة الاسلامية بالقصيدة الشعرية أو المقطوعة النثرية، مما أدى الى كسب ودّ المدارس الادبية الاسلامية الاخرى، التي شاركت هذه المدرسة تفجّعها على الامام الحسين (ع) فنظم شعراء من غير الشيعة في رثاء الامام. واستطاعت المدرسة الحلية بعد ذلك استدراج القضية التاريخية، لتقطع شوطاً أكبر في عرض مظلومية آل البيت (عليهم السلام)".<sup>(١)</sup>

(١) موسوعة أدب المحنة: ٣٠٩ .

ولعل من مميزات هذه المدرسة، أنك تستطيع أن تفرز القصيدة الحلية عن غيرها ببسر لما تحمله من ريب تاريخي وموضوعي مع واقعة الطف، يمكن ان نصفه بالسرد التاريخي للواقعة وتصويره تصويراً نفسياً يبعث الحزن والالم بطريقة مأساوية حادة، وان اتجه في بعضه حديثاً الى نمط آخر من الرمزية، لضرورات سياسية واجتماعية.

لقد أسهمت عوامل عديدة في نمو القصيدة الحلية، واقتصارها على الشعر الولائي، كغرض اساسي في الشعر الحلي. يمكن اجمالها بما يأتي :

١. الموقع الجغرافي.. فمدينة الحلة هي الاقرب لمواقع الأحداث، "وتماس الحليين لهذه المدينة المقدسة، فضلاً عن قوافل الزائرين الوافدين الى كربلاء، والمارين على أطراف الحلة، أو المخترقين وسط مدينتها. كما أن فرات الحلة الممتد من الفرات الكربلائي الذي حدثت على شواطئه الفاجعة الحسينية"<sup>(١)</sup> كلها ساعدت في إذكاء جذوة المأساة لدى الشاعر الحلي.

٢. قيام (الامارة الزيدية) : التي اتخذت مذهب آل البيت (عليهم السلام) منهجاً لها، مما ساعد في إنضاج وتحرر الادب الحسيني فيها.

٣. قِدَم العلاقة بين الحلة وأهلها وبين آل البيت (عليهم السلام) : إذ تعود هذه العلاقة الى بشارة أمير المؤمنين الامام علي بن ابي طالب (ع) المعروفة عن الحلة وتأسيسها، ودعائه المشهور لأهلها بالخير.

٤. كثرة المراقد والمقامات للأنبياء والاولياء الصالحين، والعلماء الاعلام في داخل المدينة وخارجها الامر الذي أدى الى تجاذب الأصرة الروحية وارتباطها بالنهج القويم لآل البيت (عليهم السلام).

٥. الوعي العاطفي والعقلي المتجدد عند أجيال هذه الحاضرة تجاه واقعة الطف، وديمومة استنقاع الوقائع بروحية وعقلية متجددتين.

٦. انتقال الحوزة الدينية (المرجعية) الى الحلة، أدى الى إذكاء جذوة الترابط العقلي والروحي (الوجداني) مع واقعتي الغدير والطف بعامة، والامام الحسين (ع) بخاصة.

٧. مظلومية الطائفة الشيعية والشاعر الشيعي تحديداً، ووصفه بأوصاف تثير الحالة النفسية، كما كان يُكتب في كتب التراجم وغيرها. مثل عبارات وأوصاف (شاعر رافضي) و (شاعر شيعي خبيث) وغيرها، مما أدى الى تصلب الشاعر الشيعي، وتمسكه بنهجه كرد فعل نفسي.

٨. الصراعات السياسية والطائفية ضد المدينة وأهلها، وتتابع الاحتلال الاجنبي لها وللبلد عامة، ساعد في توهج الشعر الحسيني، كوسيلة من وسائل التصدي إعلامياً، وإثارة الحماس لدى الطائفة.

يضاف الى ما تقدم التسلط المحلي المقيت. وقيام أنظمة قمعية دكتاتورية وطائفية، ساعد في ازدهار الشعر الولائي الحلي، كوسيلة معبرة عن رفض الظلم والطغيان والتسلط<sup>(٢)</sup>.

إن الحديث عن الغدير هو الحديث عن صاحبه ويومه وما حدث فيه من إبلاغ إلهي وتبليغ نبوي، واعتراف صحبوي بدرجة القديسين والأولياء بحق من حقوق علي بن أبي طالب (عليه السلام) كوليِّ مقدم بلا

(١) موسوعة أدب المحنة: ٢٧٥ .

(٢) الحسين في الشعر الحلي: ٨.

منازع، وإنسان ليس في القوم له شبيهه سوى نفسه محمدٍ (صلى الله عليه وآله وسلم) فهو أخوه وكلاهما أبوا هذه الأمة.

وعليه فالاهتمام بهما من خلال الشعر يفصح الولاء لهما، ويظهر ما حاول أعداؤهما إخفاؤه، لتظل قصائد الشعراء مجرىً منسباً من الإبداع على مرّ القرون.

ولا شك فيه أنّ الفضل في إحياء تراث الغدير والإحاطة بعدد من شعرائه، يعود للشيخ عبد الحسين الأميني النجفي (رحمه الله) في موسوعته الخالدة (الغدير في الكتاب والسنة والأدب) التي خُذ فيها عبر اثني عشر قرناً عدداً من الشعراء الذين كان لهم نصيب من الشعر في الواقعة المشهودة.

وعلى الرغم من الاستدراك والتتمة التي أنجزها الصديقان رسول كاظم عبد السادة وكريم جهاد حساني بمجلدات سبعة إلا أن العمل يبقى متواصلاً قابلاً للإضافة والاستدراك فالعمل الموسوعي قابل للزيادة المستمرة. وهنا حاول الباحث أن يتقصى ما نظم في (الغدير) وصاحبه (عليه السلام) منذ القرن السادس الهجري حتى القرن الحالي.

فأقدم قصيدة حلية اتّسمت بالولاء كانت قصيدة الشاعر ابن العودي (ت ٥٥٤هـ تقريباً)، وقد تجاوزت المئة بيت من الشعر، أشار فيها الشاعر إلى مناقب النبي الأكرم وآله الأطهار (صلوات الله عليهم أجمعين) وما خصّهم الله به من الكرامات، ثم عزّج على حديث الغدير ليصور بعدها ما حدث في واقعة الطف. وفي القرن نفسه نقف عند شاعر آخر هو سعيد بن مكي المؤدب الحلي (٥٦٥هـ) الذي نظم أكثر من قصيدة ولائية غديرية، بلغت إحدى قصائده (١٥٠ بيتاً).

ويحلّق بنا الشاعر مزيد بن عليّ الأسدي (ت ٥٩٢هـ) بديوان ولائي بكر يحتاج إلى وقفات كثيرة في مضمونه وأسلوبه.

بينما نعثر على أبيات متفرقة لشعراء مدحو أمير المؤمنين (عليه السلام) مثل ابن السكون الحلي (ت ٦٠٦هـ) الذي لم يحفظ لنا التاريخ له سوى بيتين هما:

يا سائلي عن عليّ والأولى علموا      به من الشّرِّ ما قالوا وما فعلوا  
لم يعرفوه فعادوه لجهلهم      والناس كلّهم أعداء ما جهلوا<sup>(١)</sup>

أما القرن السابع فحفل بشعراء فقهاء وعلماء منهم الشاعرين الفقيهين جعفر بن نما الحلي (ت ٦٨٠هـ) ومحفوظ بن وشاح الحلي (ت ٦٩٠هـ) فضلاً عن الشاعر الخليعي (ت ٦٥٠هـ تقريباً) الذي اقتصر في شعره على الولاء المطلق فحمل ديوانه عشرات القصائد في مدح وثناء آل البيت (عليهم السلام)، بينما نقف أمام قصيدتين ولائيتين للشاعر ابن علوان السورائي (ت ٧٠٦هـ) ومثله ابن حماد الحلي الذي يزخر ديوانه بالولاء المطلق لآل البيت (عليهم السلام أجمعين).

ويحمل لنا القرن الثامن الهجري شعراً رصيناً محكماً، مشرق الأسلوب، قوي التركيب ممثلاً بالشاعر علي الشفهيني (كان حياً عام ٧٤٠هـ) والشاعر صفي الدين الحلي (ت ٧٥٢هـ)، وحفل بنمط شعري ألا وهو الأرجوزة،

(١) الطليعة من شعراء الشيعة: ٨٢/٢.

التي اتخذت سبيل المحاجبة لإثبات صحة نص حديث البيعة، فكانت أرجوزة الفقيه الرجالي الشيخ الحسن بن داود الحلبي (ت ٧٤٠هـ).

أما القرن التاسع فجاد علينا بشعراء تفاوتوا في الجودة في الأسلوب أمثال الشاعر صالح بن العرندس (٨٤٠هـ) والشاعر مغامس بن داغر الحلبي (أوائل القرن التاسع) الذي اتخذ طابع السرد التاريخي في قصائده الطويلة، والشيخ رجب البرسي (ت ٨١٣) الذي أكثر في مدح أمير المؤمنين (عليه السلام). والشاعر محمد السبعي الحلبي (ت ٨١٥) والحسن بن راشد (كان حياً ٨٣٠هـ).

ويحز في النفس أن القرن العاشر غُيب من قبل المؤرخين في توثيق المنجز الشعري الحلبي، مما حرمانا من الوقوف على إبداع الشعراء الحلبيين وتتبع الحركة الشعرية في الحلة، غير أن القرن الحادي عشر عوضنا بأسماء خلّدها شعرها مدحاً ورتاءً لآل البيت (عليهم السلام) وما زال شعرهم يستشهد به في الخطب المنبرية والمحافل الدينية أمثال الشاعر محمد ابن السمين الحلبي ومحمد بن نفيح الحلبي والشاعر عبد الوهاب الطريحي والشاعر نعمان الأعرجي الحلبي، وتقرّد الشاعر أحمد النحوي الحلبي في القرن الثاني عشر تبعه ابنه محمد رضا النحوي ثم حفيده هادي النحوي، ومن شعراء هذا القرن الشاعر صادق الفحام الحلبي (ت ١٢٠٤هـ).

بيد أن القرن الثالث عشر الهجري عوّض لنا ما خسرناه من نتاج شعري في القرون السابقة، إذ ضاع الكثير من الدواوين الشعرية لأسباب عديدة منها الحروب الطاحنة التي حدثت في العراق بعامه والحلة بخاصة، كذلك الأمراض التي فتكت بالمدينة وأهلها والجهل الذي عمّ سواد الناس، فكان هذا القرن خصباً بالأساليب والأفكار والرؤى والمضامين. وأبرز أسماء لامعة في سماء المدرسة الحلية أمثال الشيخ صالح الكواز وحمادي الكواز والقزوانة وآل حيدر يتقدمهم عميد الرثاء الحسيني الشاعر الحلبي الخالد السيد حيدر الحلبي (ت ١٣٠٤هـ).

ولم ينقطع الشعر كلما تقدمنا وصولاً إلى قرنتنا الحالي، بل ازداد عدد الشعراء إطراداً وملأت القصائد دواوين كبيرة بأنواع الشعر وألوانه كلها فالتداخل بين القرنين الثالث عشر والرابع عشر، أنتج لنا ديواناً كبيراً من الشعر الحلبي الذي كان فيه الولاء ظاهراً بيناً لا يحتاج إلى دليل، وهذا يؤكد استمرار الإبداع الحلبي بالريادة والتجديد، متخطياً واقعاً قائماً قارب التسعة قرون من السيادة للمدرسة الحلية، أما القرن العشرين فالشعر بحركاته التجديدية وبأنماطه وأشكاله المتنوعة اتسع في منجزه الإبداعي متفاوتاً بين الجودة والإبداع. إلا أنه تعامل مع (ولائه) تعاملًا شجاعاً في شحن الهمم واستنهاضها إبان النظام المباد وتقديم مأساة الحسين (عليه السلام) ونكث البيعة للإمام عليّ (عليه السلام) في يوم غدیر خُم كوقائع خالدة تقارع الظلم والاستبداد وتعيد للأحداث صورها المأساوية المفجعة بأسلوب معاصر يتلاءم مع الواقع المعاش.

### الخصائص العلوية

لا يمكن لأحد أن يلتفت إلى الإمامة دون أن يتسنى له الاطلاع على خصائص شخصية صاحبها. فالشخصية بجوانبها المتكاملة شريطة مهمة يتوقّف عليها قبول الآخر لها. فكيف إذا كانت هذه الشخصية مما يتوقّف عليها الاصطفاء والولاية؟ ونحن ندرك أن الأنبياء والرسل والأولياء خضعوا كثيراً لإرادة ورعاية ربانية، أهلتهم أن يكونوا أمناء في حمل رسالات السماء. و"عليّ (ع) لا يختلف عن غيره من هؤلاء الأصفياء النجباء في

ضرورة هذه الرعاية له، بعد أن تحقق ارتضاء الله له واصطفاؤه إيّاه، لتسنّم مقام ولايته الكبرى بعد الرسول (ص)»<sup>(١)</sup>.

ولا تتحقق الإحاطة في هذا البحث بجوانب الشخصية العلوية التي انماز بها أمير المؤمنين (ع) لفرادتها واستحالة وجود شبيه لها بعد الرسول الكريم (ص) الذي قال: (خُلقت أنا وهارون بن عمران ويحيى بن زكريا وعلي بن أبي طالب من طينة واحدة)<sup>(٢)</sup>، والنبي لا ينطق عن الهوى. والقرآن شاهد ناطق على أفضلية علي (ع). قال ابن عباس: (نزلت في علي أكثر من ثلاثمائة آية في مدحه)<sup>(٣)</sup>. وهل هناك أصدق من قوله تعالى في آية المباهلة وآية التطهير وسورة الدهر وغيرها مما لا حصر له من الإشارات إلى مناقب وفضائل علي ابن أبي طالب (ع). وهل هناك أرقى من قول نبي الرحمة (ص): (إني تارك فيكم ما إن تمسكتم بهما لن تضلّوا بعدي، كتاب الله وعترتي أهل بيتي، وأنّهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض)<sup>(٤)</sup>.

إذن فشخصية الإمام (ع) عصيّة على اللبيب العارف إدراك كنهها، لأنها اصطفاء رباني. وقد مجّد الشعراء على اختلاف عصورهم ومشاربهم هذه الشخصية للوصول إلى كنه أسرارها وفك طلاسمها التي تمثل القيمة العليا وهو الحق سبحانه وتعالى. فجاء الشعر الحلي حافلاً بما يلفت النظر في اكتنازه لمناقب وفضائل الإمام (ع):

أفهل يُحيط الوصفون بمدحه  
وقول الصفي الحلي:

فَوَ اللهُ مَا اخْتَارَ إِلَهَهُ مُحَمَّدًا  
كَذَلِكَ مَا اخْتَارَ النَّبِيَّ لِنَفْسِهِ  
وَصَيَّرَهُ دُونَ الْأَنْبِيَاءِ أَخًا لَهُ  
وَشَاهِدَ عَقْلَ الْمَرْءِ حُسْنَ اخْتِيَارِهِ  
والذكر فيه مدائحٌ وثناءً<sup>(٥)</sup>  
حبيباً وبين العالمين له مثلُ  
عليّاً وصيّاً وهو لابنته بعليّ  
وصنواً وفيهم من له دونه الفضلُ  
فما حال من يختاره اللهُ والرّسُلُ<sup>(٦)</sup>

أما الحسن بن راشد فيدعو إلى معرفته من خلال أهل العلم، فهم أدري بسمو عظّمته ومقياس فضائله (ع) بقوله:

وسلّ به العلماء الراسخين ترى  
قلّ فيه وسمع به وانظر إليه تجد  
ويصف الخليعي أمير المؤمنين (ع) في وصفه لمعراج الرسول (ص):  
وكلمما حلّ منزلاً من ميا  
له فضائل ما جمّعن في رجل  
ملاء المسامع والأفواه والمقلّ<sup>(٧)</sup>  
دين رياض الدنوّ والغرب

(١) علي في التزام الحق: ٢٨٠.

(٢) كفاية الطالب: ١٨٩.

(٣) تاريخ الخلفاء: ١٧٢.

(٤) كفاية الطالب: ١٢، ٢٤، ١٣٠.

(٥) الشاعر محفوظ بن وشاح، الغدير: ٤٣٨/٥.

(٦) البابليات: ١١١/١.

(٧) البابليات: ١٢٦/١.

رأى علياً على بروج فضا  
قال فسألت جبرئيل وقد  
أفي عليّ نبوءة؟ قال: لا  
ء النور مستعلياً على الشهب  
عجبت إذ ذاك غاية العجب  
لكأه محنة لكل نبي

هذا الذي أكدت ولا يثؤه  
على أولي العزم، فانصرف تصب<sup>(١)</sup>

وبشير الشاعر رجب البرسي إلى معنى من قال في حقه (ع): ما أقول في رجل أخفت أولياؤه فضائله خوفاً، وأخفت أعداؤه فضائله حسداً، وشاع من بين ذين ما ملأ الخافقين.

تبارك موصولاً ويورك أصلاً  
روى فضله الحساد من عظم شأنه  
محبوه أخفوا فضله خيفة العدى  
فشاع له ما بين ذين مناقب  
إمام مبين كل أكرومة حوى  
له صلة في كل نفس وعائد  
وأعظم فضل جاء يرويه حاسد  
وأخفاه بغضاً حاسد ومعانداً  
تجل بأن تحصي إذا عد قاصداً  
بمدحته التنزيل، والذكر شاهد<sup>(٢)</sup>

ومن الخصائص العلوية المباهلة التي تدل على عصمة أصحاب الكساء وعليّ واحد منهم (عليهم السلام) وكلهم معصومون مطهرون ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ﴾<sup>(٣)</sup>.

يقول الشاعر ابن العودي في قصيدة ولائية:

وأصفيت مدحي للنبي وصوره  
هُمُ التين والزيتون آل محمد  
فلولاهم لم يخلق الله خلقه  
هُمُ باهلوا نجران من داخل العبا  
فمن مثلهم في العالمين وقد غدا  
أبوهم أمير المؤمنين وجدهم  
وللنفر البيض الذين هم هم  
هُمُ شجرة الطوى لمن يتفهم  
ولا هبطوا للنسل حووا وآدم  
فعاد المناوي فيهم وهو مفرم  
لهم سيد الأملاك جبريل يخدم  
أبو القاسم الهادي النبي المكرم<sup>(٤)</sup>

أما المؤخاة فكان صداها كبيراً في الشعر الحلي. قال رسول الله (ص) لعليّ (ع): (أنت أخي في الدنيا والآخرة)<sup>(٥)</sup>.

قال الشاعر الشفهيني وبعد مقدمة غزلية رائعة يصفهما (صلوات الله عليهما) متحدين بكل شيء، فهما أخوان، بل هما علة الأشياء الذي لولاهما ما خلق الله الوجود:

أهواه لا لحيانية حاشا لمن  
أنهى الكتاب تلاوة أن يجهلا

(١) ديوانه: ١٢٨.

(٢) مشارق أنوار اليقين: ٣٦١.

(٣) سورة الأحزاب: ٣٣.

(٤) الغدير: ٣٧٣/٤.

(٥) صحيح الترمذي: ٦٣٦/٥.

لي فيه مزدجرٌ لما أخلصته  
فهما لعمرِكَ علّةُ الأشياءِ في الـ  
الأولان الآخـران الباطنـا  
الزاهـدان العابدان الراكعـا  
خُلقا وما خلق الوجود كلاهما  
فاسأل عن النور الذي تجدّته

في المصطفى وأخيه من عقد الولا  
علل الحقيقة إن عرفت الأمثلا  
ن الظاهران الشاكران لذئ العُلا  
ن الساجدان الشاهدان على الملا  
نوران من نور العليّ تفصّلا  
في النور مسطوراً وسائل من تلا<sup>(١)</sup>

وله في قصيدة أخرى يخاطب فيها أمير المؤمنين (ع) بتشبيه رائع:

أنت الذي اختارك الهادي البشير  
ما فصل المجد جلباباً لذئ شرفٍ  
إلّا وكان لمعناك البهيج رداً<sup>(٢)</sup>  
أخاً وما سواك ارتضى من بينهم أحداً

بينما يذهب ابن العرندس إلى تحديد زمن المؤاخاة والإقرار بأية التبليغ والإصرار على الولاء على الرغم

من تعنيف النواصب له:

وبخمّ واخاه النبي محمدٌ  
عذل النواصب في هواه وعنّفوا  
حقاً وذلك في الكتاب تنزّلاً  
فعضيتهم وأطعت فيه من غلا<sup>(٣)</sup>

ورد الشمس من الخصائص العلوية التي لها رصيد وافر في الشعر الحلي لما لها من منقبة فريدة وكرامة

عظيمة. ففي تصوير جميل وجناس لطيف بين قرص الشمس وقرص الرغيف، يقول جعفر بن نما الحلي:

جاد بالقرص والطوى ملء جنبيه  
فأعاد القرص المنيرَ عليه القرصُ والمقرضُ الكرام كسوب<sup>(٤)</sup>  
وعافَ الطعامَ وهو سغوبُ

وبصوّر الحادثتين معاً الشيخ حسن المخزومي الحلي (ت ٧٩٠هـ) بقوله:

تصدّق بالقرص الشعير لسائلٍ  
وردّ عليه القرص وهو أفول<sup>(٥)</sup>

ومقياس معرفة الإيمان (حبُّ عليّ)، وهو مصداق قول الرسول الكريم (ص): (لا يحبُّ عليّاً إلّا مؤمن ولا

يبغضه إلّا منافق)<sup>(٦)</sup>. وحبُّه جُنة في مواقف كثيرة للمؤمن ومنها المعاد، وفي ذلك يقول البرسي:

حبيبُ حبيبِ الله بل سرُّ سرِّه  
له النصُّ يوم الغدير ومدحه  
وعينُ السورى أم للخلائق روحُ  
إمامٌ إذا ما المرءُ جاء بحبِّه  
من الله في الذكر المُبين صريحُ  
فميزانه يوم المعاد رجيح<sup>(٧)</sup>

(١) الغدير: ٣٨٥/٦.

(٢) الغدير: ٣٦٥/٦.

(٣) الغدير: ٩/٧.

(٤) البابليات: ٧٦/١.

(٥) علي في الكتاب والسنة والأدب: ٢٦٠/٤.

(٦) المعجم الكبير للطبراني: ٣٠٥/٢٣.

(٧) مشارق أنوار اليقين: ٣٦٠.

ومناقبه الكثيرة تدلّ على عِظم شخصيته. أما صفاته فألفت فيها كُتُب، وكُتبت دراسات، والشفهيني يورد لنا بعضاً من مناقبه في أبياته:

لَمَّا أَتَاهُ السَّائِلُ يَسْأَلُ	أَمْ هَلْ سِوَاهُ فَتَى تَصَدَّقَ رَاكِعاً
الْمَتَمَسِّكُ، الْمَتَسِّكُ، الْمُتَزَهِّدُ	الْمُؤَثِّرُ، الْمُتَصَدِّقُ، الْمُتَقَضِّلُ
الْمَتَخَضِّعُ، الْمُتَخَشِّعُ، الْمُتَهَجِّدُ	الشَّاكِرُ، الْمُتَطَوِّعُ، الْمُتَضَرِّعُ
الْمَتَذَلِّلُ، الْمُتَمَلِّمُ، الْمُتَعَبِّدُ	الصَّابِرُ، الْمُتَوَكِّلُ، الْمُتَوَسِّلُ
وَيَسُودُ إِذْ يُعْزَى إِلَيْهِ السَّوْدُ <sup>(١)</sup>	رَجُلٌ يَتِيهِ بِهِ الْفَخَارُ مَفَاخِراً

وتبقى شخصية الإمام أخاذة للألباب، ناصعة غرّاء، لا تشوبها شائبة، ولا يزدريها إلا منافق، وكيفينا أن نردد مع صفي الدين الحلي هذه الأبيات الفريدة بحقه (عليه السلام):

فَلِهَذَا عَزَّتْ لَكَ الْأُنْدَادُ	جُمِعَتْ فِي صِفَاتِكَ الْأَضْدَادُ
فَاتَكَ، نَاسَكَ، فَفَاقِرٌ، جَوَادُ	زَاهِدٌ، حَاكِمٌ، حَلِيمٌ، شَجَاعٌ
وَلَا حَازَ مَثَلَهُنَّ الْعِبَادُ	شَيْمٌ، مَا جُمِعْنَ فِي بَشَرٍ قَطُّ
فِ، وَيَأْسُ يَذُوبُ مِنْهُ الْجَمَادُ	خُلِقَ يُخْجِلُ النَّسِيمَ مِنَ اللَّطِّ
فَأَقْرَبَتْ بِفَضْلِكَ الْحُسَّادُ	ظَهَرَتْ مِنْكَ لِلْوَرَى مَكْرَمَاتُ
رُ وَيُحْصِي صِفَاتِهِ النَّقَّادُ <sup>(٢)</sup>	جَلَّ مَعْنَاكَ أَنْ يُحِيطَ بِهِ الشُّعَا

\*\*\*\*\*

ويكفي لهذه الشخصية العظيمة أن تتوجّ بوصية سيد المرسلين محمد (ص) يوم غدِير خَمٍّ فِي حِجَّةِ الْوَدَاعِ فِي الثَّامِنِ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ السَّنَةِ الْعَاشِرَةِ لِلْهِجْرَةِ الْمُبَارَكَةِ.

أَخْرَجَ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ عَنْ زَيْدِ بْنِ أَرْقَمٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ: أَلَسْتُمْ تَعْلَمُونَ؟ أَلَسْتُمْ تَشْهَدُونَ أَنِّي أَوْلَى بِكُلِّ مُؤْمِنٍ مِنْ نَفْسِهِ؟ قَالُوا: بَلَى، قَالَ: فَمَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَإِنَّ عَلِيّاً مَوْلَاهُ، اللَّهُمَّ عَادِ مَنْ عَادَاهُ وَوَالِ مَنْ وَالَاهُ<sup>(٣)</sup>.

وتصريح النبي (ص) هذا دليل قاطع ورسالة بيّنة، فالتمسك بالولاية هو استكمال الالتزام بالنبوة والانقياد للربوبية. فالله سبحانه وتعالى وليّ، والرسول وليّ، والإمام عليّ وليّ. وعليه فالتوليّ وإن كان بهذه السلسلة، إلا أنه لم يتوقف للشعور بالحاجة الماسّة الدائمة له، وهذا يعني استمرار تواصلها روحياً حتى ظهور قائم آل محمد (ص). فالولاية ركن مهم من أركان الإسلام مصدرها القرآن الكريم في قوله تعالى ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴾<sup>(٤)</sup>.

(١) الغدير: ٣٦٠/٦.

(٢) البابليات: ١١١/١.

(٣) مسند أحمد: ٥٠١/٥.

(٤) المائدة: ٥٥.

وقد تناول الشعر الحلي محاور كثيرة، فصلَّ فيها ما يتعلَّق بواقعة الغدير إجمالاً، وكانت له وقفات مهمة لما بعد وفاة الرسول الكريم (ص)، وما حصل من نكث للبيعة ونقض للعهد، وما ترتَّب عليه من تفرُّق واختلاف مواقف مناهضة ومناوئة لعليّ (ع)، أدت إلى وقائع جسيمة في التاريخ الإسلامي، لفقدانها العدالة الإنسانية التي مثلها الرسول الكريم وعليّ (عليهما السلام).

فالشفهيني يوجّه نقده اللاذع للأمة المناقفة التي خانَت وصية نبيِّها الكريم (ص):

يا أُمَّةً نقضت عهود نبيها	أَفَمَنْ إِلَىٰ نقض العهودِ دعاكِ
وصَّاكِ خيراً بالوصيِّ كأنما	متعمِّداً في بغضه وصَّاكِ
أو لم يُقل فيه النبيِّ مبالغاً:	هذا عليُّك في العلى أعلاكِ
حتى إذا قبض النبيُّ ولم يطل	يوماً مَداكِ له سننتِ مَداكِ <sup>(١)</sup>

ويوافقه الشاعر مغامس بن داغر في فضحه لإضمارهم للأحقاد التي فجَّروها بوفاة النبي الكريم (ص):

قبلت وصية أحمد وبصدرها	تخفي لآل محمد أحقادها
حتى إذا مات النبيُّ فأظهرت	أضغانها في ظلِّ رشادها <sup>(٢)</sup>

ويصف الخليعي يوم السقيفة، ويرسم صورة للحاضرين الذين نكثوا البيعة:

ما بايعتهم يدُّ يوم السقيفة وأم	تدَّت إليهم بإيجابٍ وإذعان
إلا لمن أكرهوه أو لمن جهل التو	حيداً والعدل أو من للهدى شان <sup>(٣)</sup>

إن نكث البيعة فتح أبواباً عديدة في شقِّ عصا المسلمين، وأورث أحقاداً وضغائن كان من نتائجها وقعة الطفِّ الأليمة التي أفرد لها الشعر الحلي مساحة مهمة ليس في المجال متَّسع للحديث عنها. وسأكتفي بأبيات الشاعر الشفهيني حيث استخدم القسم، لاعتقاده بأن واقعة كربلاء وتجاسر آل أمية على الحسين الشهيد (ع) كان بسبب تخليهم عن بيعتهم التي أبرموها لجده المصطفى (ص)، فالطفَّ نتيجة حتمية لنقض العهود.

بِالله أقسمُ والنبيِّ وآله	قسماً يفورُ به الوليُّ ويُسعدُ
لولا الأولى نقضوا عهدَ محمدٍ	من بعده وعلى الوصيِّ تمردوا
لم تستطع مَدّاً لآلِ أميَّة	يومَ الطفوفِ على ابنِ فاطمة يدُّ <sup>(٤)</sup>

ومثله الشاعر ابن العودي الذي تساءل عن كيفية براءة القتلة التي لا يمكن لها أن تتم وهم الذين قدّموا

الغدر بنقضهم لبيعة الإمام (ع):

وما قدِمَت يوم الطفوفِ أميَّة	على السَّبَطِ إلا بالذين تقدّموا
وأنى لهم أن يبرأوا من دمائهم	وقد أسرجوها للخصامِ وأجموا <sup>(٥)</sup>

(١) الغدير: ٣٨٠/٦.

(٢) الغدير: ٢٤/٧.

(٣) ديوانه: ١١٧.

(٤) الغدير: ٣٦١/٦.

(٥) الغدير: ٣٧٤/٤.

## التولي والتبري:

لا نخطأ القول أبداً إن قلنا أن مفهومي (التولي والتبري) هو من معتقدات محبي أهل البيت (عليهم السلام)، فليس من المعقول العمل بواحد دون الآخر مما يؤدي إلى الظن، أو المجاملة الفاشلة على حساب المبدأ، فهذا يعني الدخول في باب النفاق الذي لا يحمد عقباه. فالعقيدة في أصلها ثبات والتزام. قال الإمام الرضا (ع): (كمال الدين في ولايتنا والبراءة من عدونا)<sup>(١)</sup>. وقيل للإمام الصادق (ع): إن فلاناً يواليكم إلا أنه يضعف عن البراءة من عدوكم. فقال (ع): هيهات كذب من ادعى محبتنا ولم يتبرأ من عدونا<sup>(٢)</sup>.

فالتولي يعني الاعتقاد بولاية وإمامة الأئمة الأطهار (عليهم السلام)، وإظهار المحبة لهم والسير على خطاهم، والتبري إعلان الرفض والبراءة وإظهار العداء لأعداء آل البيت (عليهم السلام). لذا نجد في المنجز الشعري الحلي إعلانات متكررة لهذا المفهوم قولاً وعملاً، فالشعراء الحليون يصرحون علناً بولايتهم وأتباعهم لمدرسة أهل البيت (عليهم السلام) ونبذ أعدائهم وبغضهم، والوقوف منهم موقف الرفض للفعل الازدواجي، وتذكيرهم أن أهل البيت (عليهم السلام) هم أهل المحبة الواضحة والصرط المستقيم، وبهم يثاب المرء، فهم عدل القرآن الكريم كما ورد في حديث الثقلين.

يقول الشاعر الخليعي:

بـولـاـكـم و بـغـض أـعـدائـكـم تـقـبـلُ  
سـبـل أـعـمـالـنـا و تـمـحـى الذنـوب  
لـتـسـاـكـم شـاـهـت و جـوـه ذـوي النـص  
بـ و شـقـت مـن النـغـول القـلـوب<sup>(٣)</sup>

وهم المقصد والمنجى ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ \* إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾<sup>(٤)</sup>، حيث النجاة والجنان كما في

قول الشاعر ابن العودي:

وإلـيـكـم قـصـدُ الـوـليِّ و أنـتـم  
أنـصـارـه فـي كـلِّ خـطـبٍ مـولـم  
و بـكـم يـفـوز غـداً إذـا مـا أـضـرمت  
فـي الحـشـر للـعـاصـين نـارُ جـهـنـم<sup>(٥)</sup>

وموالاتهم تعني الظفر، كقول الشاعر صفي الدين الحلي:

تـوـالٍ عـلـيَّـاً و أبـنـاءـه  
تـقـزُ فـي المعـادِ و أهـوالـه  
إـمـام لـه عـقد يـوم الغـدير  
بـنـصّ النـبـيِّ و أقـوالـه<sup>(٦)</sup>

أو قول ابن مكي النيلي الذي يشير إلى حال الظالمين لهم وهم يلاقون حتفهم حيث الساقى على الحوض

يومئذ أمير المؤمنين (ع):

بـمـحـمـدٍ و بـحـيـدرٍ و بـفـاطـمٍ  
و بـولـدـهم عـقد الـوـلا بـتـمـامـه

(١) بحار الأنوار: ٥٨/٢٧.

(٢) المصدر السابق نفسه.

(٣) ديوانه: ٢٠٨.

(٤) سورة الشعراء، الآيتان (٨٨، ٨٩).

(٥) الغدير: ٣٧٨/٤.

(٦) الغدير: ٤٢/٦.

قومٌ يُسرُّ وليهم في بعثه  
ونرى وليّ وليهم وكتابه  
يسقيه من حوض النبي محمدٍ  
بيدي أمير المؤمنين وحسب من

ويعضُّ ظالمهم على إبهامه  
بيمينه والنور من قدامه  
كأساً بها يشفي غليل أوامه  
يسقى به كأساً بكفّ إمامه<sup>(١)</sup>

ويجاهر الشاعر محفوظ بن وشاح بالولاء لهم، ويكفر ويلعن المبغضين القالين والمغالين فيهم، إذ إنّ الغلاة والمبغضين في حكم واحد:

أنا يا بن محمد أهواكم  
وأكفرُ الغالين فيك وألعنُ

وتطيبُ منّي فيكم الأهواءُ  
القالين إنهم لذيّ سواء<sup>(٢)</sup>

ويقول الشاعر صفي الدين الحلي على ما اعتقده من الولاء بهم فحبهم (جُنة) من عذاب يوم عظيم:  
ومن إذا طال ذنبي فامتدحت له  
وأنت تعلم ما يبغي مُحَبِّك في

نجوت فالمدح ذخري فالولاء عصمي  
غدي ومثلك لم يحتج إليّ كلمي<sup>(٣)</sup>

ويبدأ الشفيعيني إلى الدعاء للاقتصاص من معاديبهم مقتبساً من حديث النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) (اللهم وال من واله وعاد من عاداه).

يا ربّ وال وليّه وأكبت مُعا  
والله ما يهـواه إلا مؤمنٌ  
هذا عليّ إمامنا وولينا

ديه وعاند من لحيدر يعنُدُ  
بـرُّ ولا يقلـوه إلا ملحد  
وبه إلى نهج الهدى نسترشد<sup>(٤)</sup>

أو قوله في ولايتهم الأبدية الضارية في القدم والباقية ما بقيت الروح على قيد الحياة، فقد أعلن الشاعر تعهده لهم والسير على نهجهم:

عاهدتكم في الذرّ معرفةً بكم  
ووعدتُموني في المعاد شفاعَةً

وفويت أيماناً بما أتعهّدُ  
وعلى الصراط غداً يصح الموعد<sup>(٥)</sup>

وفي قصيدة أخرى يخاطب الشفيعيني (النفس)، ويحمد الله على منحها الولاء لأهل البيت (ع):

يا نفس لو أدركت حظّاً وافراً  
وشكرت متته عليك وحسن ما  
أولاك حبّ محمدٍ ووصيّه  
فهما لعمرك علّمك الدين في

لنّهاك عن فعل القبيح تُهاك  
أولاك من نعمائه مـولاك  
خير الأنام فنعم ما أولاك  
الأولى وفي الأخرى هما علّماك

(١) الغدير: ٣٩٦/٤.

(٢) الطليعة: ١٧٦/٢.

(٣) الغدير: ٥١/٦.

(٤) الغدير: ٣٥٧/٦.

(٥) الغدير: ٣٦٤/٦.

وهما أمانك يوم بعثك في غدٍ  
وهمما إذا انقطع الرجاء رجائك<sup>(١)</sup>  
ثم يلتفت إلى مخاطبة السيدة الطاهرة زينب العفيلة (ع):

ولقد علمت حقيقةً وتوكلًا  
أتى سأسعدُ في غدٍ بولائكِ  
وولاءِ جدِّك والبتول وحيدر  
والتسعة النجباء من أبناكِ  
قومٌ عليهم في المعادِ توكلِّي  
وبهم من الأسر الوثيق فكاكي<sup>(٢)</sup>

والشاعر وهو صاحب القصائد السبع الطوال يوظف شعره في مدحهم ورتائهم، فهو الموالي لهم والمعادي لأعدائهم، يعتذر عن تقصيره إياهم فمدحه لهم لا يفي متمنياً لو كان معهم لينصرهم بروحه ودمه، فهو في شعره مقاوم ومجاهد في نصرتهم وأخذ الحق لهم من أعدائهم، لذا يصف موقفه من ولايتهم بقوله يخاطب الإمام الحسين (ع):

فإن فاتني إدراك يومك سيدي  
فلي فيك أباكراً لوفق جناسها  
وأخزني عن نصر جيلك جيلُ  
لها رقة المحزون فيك وخطبها  
أصولُ بها للشامتين نُصولُ  
يهيم بها سرُّ الوليِّ مسرة  
جسيم على أهل النفاق مهولُ  
لها في قلوب الملحدين عواسلُ  
وينصب منها ناصب وجهولُ  
ووقع نصول ما لهنَّ نصولُ<sup>(٣)</sup>

بينما يقف ابن العرندس الحلي موقف المعاند الراض للأصوات الداعية إلى ترك حب أمير المؤمنين (ع)، وإن كان شطبه القول في إطاعة المغالين له (ع):

عذل النواصب في هواه وعنفوا  
ومدحتته رغماً على أنافهم  
فعضيتهم وأطعت فيه من غلا  
وبصير الشاعر مغامس بن داغر الحلي ولاءه لأهل البيت (ع):

قد سيط لحمي وعظمي في محبتكم  
وهدجري وبغضني لمن عاداكم ولكم  
وحبكم قد جرى في المخِّ والعصبِ  
صدقي وحببي وفي مدحي لكم طربي<sup>(٤)</sup>

وإذا ادعى بعض أن الشاعر رجب البرسي مغالٍ، فذاك مما ياباه العقل، فهو محبٌ وموَالٍ، يعبر عنهما بصدق العاطفة، وسلامة الفطرة، بل يلجأ إلى رفض فكرة المغالاة وإدانتها، وهو في شعره محاجج قوي البيان والحجة، فالإمام عنده سرٌّ عظيم من أسرار الله جلَّ وعلا، بل منبع الأسرار وقطب دائرة الوجود.

يا آية الله بل يا فتنة البشرِ  
وحجة الله بل يا منتهى القدرِ  
يا سرَّ كلِّ نبيٍّ جاء مشتهراً  
وسرَّ كلِّ نبيٍّ غير مشتهرِ

(١) الغدير: ٣٧٩/٦.

(٢) الغدير: ٣٨٣/٦.

(٣) الغدير: ٤٠٠/٦.

(٤) الغدير: ٩/٧.

(٥) الغدير: ٣٢/٧.

أجلٌ وصفك عن قدرٍ لمشتبهٍ وأنت في العين مثل العين في الصور<sup>(١)</sup>  
وفي ولائه المطلق لا يبالي أتى يكون، فالمحب غريم بحبيبه، فكيف إذا كان الحبيب علياً (ع) وهو  
القسيم.

أبا حسنٍ لو كان حبك مُدخلي جحيماً لكان الفوز عندي جحيمها  
وكيف يخاف النار من كان موقناً بأنك مولاهُ وأنت قسيمها<sup>(٢)</sup>  
ويعطي لمفهوم الولاية تعريفاً جامعاً من خلال الموالاتة.

فحبُّ عليٍّ عِدَّةٌ لوليِّه يلاقيه عند الموت والقبور والكفر  
كذلك يوم البعث لم ينجُ قادمٌ من النار إلا من تولّى أبا الحسن<sup>(٣)</sup>  
**المحاجة:**

المُحَاجَّةُ والمُحَاجَّةُ لغَةٌ: الغلبةُ بالحجَّة. واصطلاحاً: هو محاولة إقناع الخصم بإيراد أدلة قوية راجحة  
على ما يعتقد به.

وكثيراً ما لجأ لهذا المفهوم علماء الشيعة وشعرائهم في مناظرات وحوارات ومحاجبات كثيرة، وكان للأئمة  
المعصومين دورهم في إذكاء روح الحوار والمناظرة، للوصول إلى قناعات تامة تُقنع الطرف الآخر وتؤدي إلى  
تثبيت الحق والقصد الذي عُقدت لأجله المناظرة أو المجادلة.

وفي حديث الغدير اتجهت أطراف متعددة تدعو إلى إقصاء هذا الحديث وإبعاده عن جادته الأولى،  
والتحوّل برمزيته إلى أناس آخرين إرضاءً للأهواء الفاسدة التي حاولت مراراً استعمال الألفاظ بمداليل أخرى،  
وتحريفها عن مرادها وسلخها عن مضمونها. وتأتي ألفاظ (الولي، المولى، الولاية) في مقدمة الألفاظ التي  
استوحشها نفرٌ أحبّ الدنيا وزخرفها، وراح يفسرها ويجتهد في إيجاد البدائل المزيفة تزلفاً لهوى الآخرين.

إن الله سبحانه وتعالى أنزل على نبيه الكريم آيتين عظيمتين، هما آية الإكمال وآية التبليغ، وهما: ﴿الْيَوْمَ  
أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾<sup>(٤)</sup>. وقوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ  
لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾<sup>(٥)</sup>.

وكان حقاً أن تثار بتلك الواقعة ثائرة الموتورين، ليبدأ التاريخ الإسلامي بشقين، وبأخذ المزيفون طريق  
الضلالة بتأويلاتهم وأسانيدهم التي سطروها مجانبة عن الحقيقة.

فكانت المحاجة والاحتجاج على أحقيّة الخلافة تنمو مع نمو واتساع رقعة مؤيدي الطرفين... لكن  
الحق بيّنٌ وظاهر وإن لم يعترف به الآخر لتعصّبه المقيت وتزمتة الأعمى.

(١) الغدير: ٤٢/٧-٤٤.

(٢) الغدير: ٤١/٤.

(٣) الغدير: ٤٩/٧.

(٤) المائدة: ٣.

(٥) المائدة: ٦٧.

وإن أول احتجاج جاء على لسان أمير المؤمنين (عليه السلام) في أبياته المشهورة ضمن كتاب وجّهه إلى معاوية بن أبي سفيان، وفيها يقول:

سبقتكم إلى الإسلام طُوراً  
على ما كان من فهمي وعلمي  
فأوجب لي ولايته عليكم  
رسول الله يوم غدير خُـمّ  
فويلٌ ثمّ ويلٌ ثمّ ويلٌ  
لمن يلقي إليه غداً بظلمي

وهذا الدليل القطعي يُلزم الأخذ به تقادماً من قبل الموالين لقداسة مورده، وصحة روايته. حتى أن معاوية قال لزيانته: أخفوا هذا الكتاب لا يقرأه أهل الشام فيميلون إلى ابن أبي طالب<sup>(١)</sup>. أي إن معاوية يعرف تمام المعرفة بزيف دعواه في الخلافة والحكم، وهو ضالٌّ مُضِلٌّ.

ومن الشعراء الذين كانت لهم السابقة في المحاججة الكميت بن زيد الأسدي (ت ١٢٦هـ)، ثم تبعه شعراء آخرون، حتى عدّ غرضاً شعرياً يتمحور في إيراد الحقائق والبراهين بمشروعية الإمام (عليه السلام) في الخلافة. وكان الشاعر الحلي امتداداً طبيعياً لمن سبقه باتّفاق العقيدة والولاء، فسار مبدئياً رفضه للدعوات الباطلة التي شاعت في عصره، فكان الاحتجاج غرضاً شائعاً في ديوانه.

فالشاعر ابن العودي يلجأ إلى توظيف النص القرآني بتفاوت بين الاقتباس الظاهر والإشارة العابرة، ليقف مستفهماً ومستتقراً ومذكراً ببيان أحقية الإمام (عليه السلام) في الخلافة بالأدلة. فالنبي (ص) أتمّ رسالته بالتبليغ، غير أن المعاندين ألبسوا بالضغائن والبغي مخالفة له ولأخيه (صلوات الله عليهما).

وقصيدته غديرية طويلة استهلها بمقدمة غزلية، وانتقل إلى مدح آل البيت (عليهم السلام)، ثم ولج حقل الاحتجاج الذي استنفذ أغلب أبيات القصيدة، مستخدماً أدواته الاحتجاجية المتعاضدة بالقرآن والحديث الشريف والأحداث المشهورة، ليصل إلى الشرعية التي سلّبت جهازاً من خلال البدع التي أظهرها، والمؤامرات التي أنتجوها خلافاً للحقيقة:

وقد نصّها يوم الغدير محمدٌ  
لقد جاءني في النص بلّغ رسالتي  
عليّ وصيٌّ فاتبعوه فإنّه  
وقال: ألا يا أيها الناس فاعلموا  
وها أنا في تبليغها المتكلمُ  
إمامكم بعدي إذا غبتُ عنكمُ

ثم يقول بعد أبيات في تساؤلات متلاحقة وأدلة دافعة لمن تنكّر عن ولاية الإمام (عليه السلام):  
وقالوا: اختلاف الناس في الفقه رحمةٌ  
أريّان للإنسان؟ أم كان دينهم  
أم الله لا يرضى بشرع نبيّه  
أم المصطفى قد كان في وحي ربّه  
أم القوم كانوا أنبياءً صوامتاً  
أم الشّرع فيه كان زيغٌ عن الهدى  
فلم يك من هذا يحلُّ ويحرّم  
على النقص من دون الكمال فتمّموا؟  
فعادوا وهم في ذلك بالشرع أقوم؟  
ينقص في تبليغهِ ويجمعُ؟  
فلما مضى المبعوث عنهم تكلموا؟  
فسوّه من بعد النبيّ وقوموا؟

(١) الاحتجاج للطبرسي: ٢٦٦.

أم الدين لم يكمل على عهد أحمد  
أما قال: إني اليوم أكملت دينكم  
وقال أطيعوا الله ثم رسوله  
فلم حرموا ما كان حلالاً وحلّوا  
تري الله قد زل؟ أم هذا  
لقد (أبدعوا) ممّا نوا من خلافهم  
وما مات حتى أكمل الله دينه  
ولكن حقوداً أظهرت وضغائن

فعادوا عليه بالكمال وأحكموا؟  
وأتممت بالنعماء منّي عليكم؟  
تفوزوا ولا تعصوا أولي الأمر منكم  
بفتواهم ما جاز وهو محرّم؟  
نبيّ الهدى؟ أم كان جبريل يوهّم؟  
وقال: اقبلوا ممّا يقول وسلّموا  
ولم يبق أمرٌ بعد ذلك مُبهمٌ  
وبغيّ وجورٌ بيّن الظلم منهم<sup>(١)</sup>

ويوظف الحسن بن داود الحديث الشريف في تأكيد احتجاجه بالنص على الإمامة الذي يلزم العمل به  
باعتباره سنة. وأن حديثه (ص) ظاهر واضح لا يحتاج الى تأويل:

وإذا نظرت إلى خطاب محمدٍ  
من كنت مولاه فهذا حيدرٌ  
لعرفت نصّ المصطفى بخلافه  
يوم الغدير إذ استقر المنزل  
مولاه لا يرتاب فيه محصلٌ  
من بعده غراء لا يتأول<sup>(٢)</sup>

وذهب مذهبه أغلب الشعراء الحلبيين إن لم أقل جميعهم.

ولابن داود أرجوزة في (الخلافة والإمامة) طغى عليها حوار الفقهاء واحتجاجهم فكانت سرداً استعرض  
فيها أسماءً وأقوالاً ومواقف وأحداث، وحاجج فيها بأدلة متواترة وأسانيد صحيحة نقرأ من (رجال العلم في بغداد) في  
عصره في موضوعة أحقية التقديم بعد رسول الله (ص) مبيناً الآراء والخلاف، ومفنداً الكثير من الأقوال الداعية  
إلى تقديم المفضول على الفاضل<sup>(٣)</sup>.

منها قوله:

فاجتمع القوم على الإنكار  
فقلت: لَمّا فوضت إلينا  
أفضلهم؟ أم ناقصاً مفضولاً  
فاجتمعوا: أن ليس للرعيّة  
قلت لهم: يا قوم خبروني

ثم يقول في ختام الأرجوزة، ويصرّح بولائه الثابت الملتزم:

أليس قد قررتم أن النبي  
لكنني وافقتم إزاماً  
مات بلا نصّ وليس مذهبي  
ولم أقل بذلك التزاماً

(١) الغدير: ٣٧٥-٣٧٦.

(٢) الغدير: ٣/٦.

(٣) الغدير: ٤/٦-٥.

لأنني أعلم مثل الشمس نص الغدير واضحاً عن لبس<sup>(١)</sup>  
ومن جميل المعارضة ما كان من رد الشاعر ابن مكي النيلي على بيتي يوسف الواسطي في  
الغمز على أمير المؤمنين (ع) وتخلّفه عن بيعة المفضول:

ألا قل لمن قال في كفره  
: (إذا اجتمع الناس في واحد  
فقد دلّ إجماعهم كلّهم  
: كذبت وقولك غير الصحيح  
فقد أجمعت قوم موسى الكليم  
ودعوا عكوفاً على عجلهم  
فكان الكثير هم المخطئون  
وربّي على قوله شاهدُ  
وخالفهم في الرضا واحدُ)  
على أنّه عقله فاسدُ)  
وزعمك ينقده الناقدُ  
على العجل يا رجس يا مارِدُ  
وهـارون منفردٌ فارِدُ  
وكان المصيبُ هو الواحدُ<sup>(٢)</sup>

ومثله في الاتجاه الشاعر صفي الدين الحلي وهو يحاجج بالمباهلة في رده على الشاعر ابن المعتز  
العباسي الذي ادّعى وراثتهم للنبي (ص) باعتبارهم أبناء عمّ.

أأنت تـفـاخـرُ آلَ النبيِّ  
بكم باهـلَ المصـطـفـى أم بهـم  
أعنكم نفى الرجس أم عنهم  
وتجـجـدها فضـلَ أحـسـابها؟  
فـردّ العـدـاة بأوصـابها؟  
لـطـهـرِ النـفـوسِ وألبـابها؟<sup>(٣)</sup>

وولج الشعراء الحليون مذاهب شتى في الاحتجاج غير ما تقدم، فقد ذكروا مناقب الإمام (ع) وتعداد  
فضائله، فما من فضيلة أو منقبة أو كرامة إلاّ وضّمّوها قصائدهم، مع عقد مقارنات للآخرين ممن وقفوا ندّاً له،  
لشعورهم بالدناءة تجاهه. بل إن بعض الشعراء ذهب إلى أعداء الإمام (ع) ومناوئيه وحاججهم بأفعالهم المنكرة  
ونقضهم للعهود والبيعة.

ويقف الشفهيّني من الاحتجاج موقف الموالي والمناصر الدافع للشبهات. "وقصائده طافحة بالحجاج..  
شاهد على ثباته على نواميس المذهب"، وقصائده السبع جميعها حافلة بطرق الاحتجاج المختلفة، فتارةً يلجأ إلى  
خطاب وصفي تعجّبي حين يسرد مناقب الإمام (ع)، ومواقف الآخرين الانهزامية، محاججاً إياهم بأحقّيته، وتارةً  
يبسط القول في حوادث مرّت كان فيها الإمام (ع) هو المقدم دون منازع، وأخرى يلجأ إليها الشاعر حين يضمّن  
شعره الحديث الشريف الخاص بالإمام علي (ع).

وفي أبياته الاحتجاجية الرائعة التي تنم عن دراية ويقين لا تتأتى إلاّ للعارفين، يلتمس الشاعر العذر  
للآخرين بوصفهم حسّاداً لم يوقفوا إلى معرفة من هو علي (ع):

يا علّة الأشياء والسبب الذي  
إلاّ لمن كشف الغطاء له ومن  
معنى دقيق صفاته لن يُعقلا  
شقّ الحجاب مجرّداً وتوصّلا

(١) الغدير: ٦/٥-٦.

(٢) الطليعة: ٣٧١/١.

(٣) الطليعة: ٥٠٩/١.

يكفيك فخراً أن دين محمد  
يا من إذا عُدت مناقب غيره  
إنني لأعذر حاسدك على الذي  
إن يحسدوك على علاك فإئتما  
لولا كمالك نقصه لن يكمل  
رجحت مناقبه وكان الأفضل  
أولك ربك ذو الجلال وفضلاً  
مُتسافل الدرجات يحسد مَنْ علا<sup>(١)</sup>

ويُلجأ الشاعر الخليعي إلى أسلوب آخر من أساليب الاحتجاج، وهو التحدي من خلال رفضه للظلم والطاغوت، متفاخراً بكونه رافضياً وليس ناصبياً معادياً لآل البيت (عليهم السلام).

لُقبتُ بالرفض وهو أشرف لي  
نعم رفضت الطاغوت والجبت  
من ناصبي بالكفر مُشْتَهَر  
واستخلصت ودِّي للأنجُم الزُهر<sup>(٢)</sup>

### الخصائص الفنية للشعر الولائي الحلي

يتجلى الشعر الحلي بولائيته المطلقة للنبي وآله الطهار (عليهم السلام) بأروع صور الاعتقاد، ويظهر على مساحة واسعة ضمن أزمنة متتالية، في كل عصر شعراء جدد، يغذون منجزه بالجديد، ويعلنون تمسكهم الخالص بالتقليد. وتحصّل للباحث جملة من الخصائص الفنية في هذا الباب، نجلها بالآتي:

١. صدق الدوافع والنوايا وحرارة العواطف في إظهار محبة آل البيت (ع) وإعلان الولاء لهم بما ينسجم وروحية مفهومي (الولاية والبراءة).
٢. الإفصاح عن العقيدة في اتباع المذهب الحق والدفاع عن أحقية الإمام (ع) بالخلافة.
٣. تنامي أسلوب المحاجة وإيراد الأدلة وتفنيد أفكار الخصوم وتأويلاتهم.
٤. تنوع الأساليب الشعرية بتنوع الأغراض، واستثمار السرد التاريخي للوقائع والأحداث والرجال.
٥. ظهور طبقة الفقهاء الشعراء (شعر الفقهاء).

### المصادر

- القرآن الكريم.
- الاحتجاج، الشيخ الطبرسي (ت ٥٤٨هـ)، تعليق وملاحظات السيد محمد باقر الخراسان، مطبعة النعمان، النجف، ١٣٨٦هـ/١٩٦٦م.
- البابليات، الشيخ محمد علي اليعقوبي، دار البيان، ط ٢، قم (د. ت).
- بحار الأنوار، العلامة محمد باقر المجلسي (ت ١١١١هـ)، مؤسسة الوفاء، ط ٢، بيروت، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.
- تاريخ الخلفاء، جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ)، بغداد، ١٩٨٧.
- الحسين في الشعر الحلي، تراجم وقصائد، سعد الحداد، دار الضياء، النجف، ٢٠٠٧م.

(١) الغدير: ٣٨٨/٦.

(٢) ديوانه: ١٣٧.

- خريدة العصر وجريدة القصر (قسم العراق)، العماد الأصفهاني (ت ٥٩٧هـ)، تحقيق محمد بهجة الأثري، المجمع العلمي العراقي ووزارة الإعلام، بغداد.
- دائرة المعارف الإسلامية الشيعية، حسن الأمين، دار التعارف للمطبوعات، بيروت، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م.
- ديوان الخليعي، أبو الحسن علي بن عبد العزيز الخليعي الحلبي، تحقيق وتذييل الدكتور سعد الحداد، دار الضياء، النجف الأشرف، ط١، ١٤٣١هـ/٢٠١٠م.
- رحلة ابن بطوطة، محمد بن عبد الله (ت ٧٧٧هـ)، دار صادر، بيروت، ١٩٦٤م.
- صحيح الترمذي، محمد بن عيسى الترمذي (ت ٢٧٩هـ)، المكتبة الإسلامية، مصر، ١٣٥٧هـ.
- الطليعة من شعراء الشيعة، الشيخ محمد السماوي (١٣٧٠هـ)، تحقيق: كامل سلمان الجبوري، دار المؤرخ العربي، بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.
- علي في الكتاب والسنة والأدب، الحاج حسن الشاكري، راجعه: فرات الأسدي، ط١، قم المقدسة، ١٤١٨هـ.
- علي في التزام الحق، الشيخ ضياء الدين زين الدين، منشورات مؤسسة الشيخ زين الدين للمعارف الإسلامية، بيروت، ط٣، ١٤٣١هـ/٢٠١٠م.
- الغدير في الكتاب والسنة والأدب، عبد الحسين أحمد الأميني النجفي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٣، ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م.
- الكامل في التاريخ، ابن الأثير (٦٣٠هـ)، دار صادر، بيروت، دار بيروت للطباعة، ١٣٨٦هـ/١٩٦٦م.
- كفاية الطالب في مناقب علي بن أبي طالب، الكنجي الشافعي، النجف، ١٣٦٥هـ/١٩٣٧م.
- مسند أحمد، أحمد بن حنبل، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤١٤هـ.
- مشارق أنوار اليقين في أسرار أمير المؤمنين (ع)، الحافظ البرسي، تحقيق العلامة السيد علي عاشور، مؤسسة العلمي للمطبوعات، بيروت، ط٢، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م.
- معجم البلدان، ياقوت الحموي، دار إحياء التراث العربي، لبنان، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م.
- المعجم الكبير، الطبراني، تحقيق حمدي السلفي، بغداد، ١٣٩٧هـ.
- موسوعة أدب المحنة أو شعراء المحسن بن علي، السيد محمد علي الحلو، مؤسسة دار الكتاب الجزائري، قم المقدسة، ١٤١٩هـ.